

تضحيات

فوضعت الأم التعسة يدها في جيبيها والدموع تفرق في محاجرهما وأخرجت عشرة دنانير وقالت له بصوت تخنقه العبرات : « سيدى هذا كل ما أملك ... أتضرع إليك ... أرجو ... » فقاطعها الطبيب غاضباً وقد قطب جبينه قائلاً : « ماذا تريدن ، أتريدن أن أشفي ابتك بعشرة دنانير ؟ أتقابلين نصيحتي هكذا ؟ لاشك أنك جننت ، ولم يكذبك كلامه حتى انطلق كالسهم ، وكانت خطبته السابقة عن الشفقة والرحمة وعن التضحية الواجبة على كل مصلح ... ! إن لم يكن مفسداً - يدوى صداها في الهواء . ولم أطق أكثر من هذا وانطلقت طائراً إلى هذا المكان ولم أفهم أى تضحية كان يقصدها ذلك الملك الرحيم !! أربأ بالأحرى ذلك الشيطان الرحيم !! »

فرزق صاحبه قائلاً : « لا عجب يا أخى إذا أنذرهم أنبيأؤهم بالنار والجحيم ، والعذاب الأليم دون سائر الأحياء . فوجلجت في الغرفة مطرقاً بعد سماعي هذه الحكاية ... وقالت في نفسى ما أغبى هذا الطائر ! وأى عجب فيما جرى ! »

عبد الرحمن الرمحماني

« حكمة قاض »

من أغرب الأحكام الصينية أن أربعة من نجار القطن خافوا أن يسطو القار على قطنهم ، فابتاعوا هراً بأن دفع كل واحد منهم ثمن ثخذ ، فحدث أن الهر جرح بفخذ من أنغازه فربط جرحه بالقطن وبلى بالغاز ، فقضت الصدقة التعسة بالتماب الضماد ، وفرار الهر إلى أكدار القطن فأحرقها ، فقام أصحاب الأنغاز الثلاثة السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح ، فأصدر القاضي حكمه بأن الفخذ الجريح لم يحمل الهر إلى القطن ، ولكن الأنغاز السليمة هي التي حارته ، فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح .

فتحت النافذة هذا الصباح وكانت أمامها شجرة شاهدت عليها طائرين جميلين ، يفرد أحدهما والآخر يصغى إلى أنغامه بكل انتباه ، وبعد لحظات صمت هذا الطائر ، ثم التفت إلى صاحبه على أثر ابتسامة ساخرة بدت على وجهه وسأله قائلاً : « ما الذى يضحكك يا أخى ؟ » فأجاب : « لا شيء سوى أنى في حيرة من أمر هذه المخلوقات المسماة بالبشر - إن هذا الرجل الذى ينظر إلينا يذكرك في بحادثة غريبة شاهدتها أمس ... » فالتفت صاحبه إلى وأخذ يحدق في طويلاً ... ثم قال : « ماذا رأيت ؟ » فأجاب : « بعد أن عبرت البحار السبع ووصلت اليابسة شاهدت حركات تبدو من أشخاص مجتمعين تحت شجرة فدفعنى الفضول ، وحب الاستطلاع إلى النزول عليها - فوجدت فتاة مريضة ملقاة على الرمل وحولها اتباعها وقد ملأ الحزن قلوبهم وكادت أن تنفطر ، وسمعت أحدهم يقول : . . نعم لقد ذهب أخوه ليحضر طبيباً من القرية المجاورة ... »

لكن متى يأتى . ؟ وبعد لحظات رأيت ثلاثة أشخاص قد حضروا . وفهمت أن الأول كان أخاها ، وأما الآخران فكانا الطبيب ومساعداه ولما دنا الطبيب الموقر إلى هذه السقيمة ، وعرف داءها ، ثم رأى توسل أهلها بأن يساعدهم في شفاء ابنتهم ، وأخبروه أنهم لا يملكون إلا شيئاً يسيراً من المال ، وباسم الإنسانية أن يعطف على وحيدتهم ولو يقتضيه شيء من التضحية .. وأن يدرك هذه المشرفة على الهلاك قبل أن تتخطفها يد المنون .. وبعد أن رأى كل هذا رفع رأسه وقال : نعم إن واجبي خدمة الإنسانية بكل إخلاص ، وبصرف النظر عن أى مصلحة شخصية ، وإبنى الآن لبازل قصارى جهدى في معالجة هذه المسكينة ثم توقف قليلاً عن خطبته فمالت الأم البائسة له : حياك الله ملاك رحيم . . . ثم استأنف قائلاً شكراً ولكن فى الحقيقة مرضها صعب وغريب . . . ولا أدري هل تتحملون أتعاب علاجها ، ولتقديرى ظروفكم لا أطلب أكثر من مئة دينار ... »